

قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصة الشهيد المجاهد علي غالب ياسين

بقلم: نسرين إدريس قازان

باسم رب الشهداء

اسمُه عليّ

في الحديث عن الإمام الصّادق عليه السلام: «مَن أرادَ اللهُ بهِ الخيرَ قَذَفَ في قلبِه حُبَّ الحسين عليه السلام». ومِن قلبِه الصّغير السّابح بالأمنيات، اكتشف عليّ العالم مِن حوله. قلوبُنا لها عيون، أَبصِروا بها...

كانَ عليّ صغيرًا يعيشُ في رَغَد دلال جدّته لأمّه. عالمُ الجدّة المليء بالسِّحر، فما إن يذهب والدَيه إلى العمل وأخوه إلى المدرسة، حتّى يتربّع على عرش الأوامر، ولم تعرف جدّته طريقًا لردّ طلبه، حتّى لمّا تمنى اللّعب بالتّراب ذات يوم. ولم يكن في منطقة الرّويس في الضّاحية الجنوبيّة أيّ بورة قريبة من بيتها. حملتهُ وألعابَ الجرفِ، وبحثتْ عن أرضٍ لعبَ فيها حتّى شبع...

هوَ كثيرُ الأسئلة وفنانُ اكتشافات، ولكنّ أكثر ما أثار تساؤلَه، ذلك الموسم المتّشح بالسّواد، وتلك الأيّام الحزينة، إذ، فجأة، تلبِسه جدّتُه ويلبس أهلُه وأقاربه الثيابَ السَوداء أسوةً بالنّاس، وهوَ ينظرُ من حولِه: لماذا هذا الالتزام بالحزن من الجميع؟! حتّى من أقاربه؟ في الواقع لا ينتمي عليّ لعائلة ملتزمة، ولكنها عائلة مقاومة، قدّمت عمّه الشّاب (جعفر) شهيدًا في المقاومة الوطنيّة وهوَ في مقتبَل العمر، ففهِم أنّ أيّام عاشوراء ليست لبيئة محدّدة، بل للناس جميعًا...

«الحسين» اسمٌ كأنّه ريحٌ تهزّ جذع روح عليّ، فتساقط منه كلّ دمعٍ حزنًا على ذلك المُصاب، ورسخ في مخيّلته مشهد التّسابق للمشاركة بالوقوف ولو قليلاً أمامَ قِدْر كبير يتحلّقُ من حولِه الكثير من الناس، يتسابقون لحملِ ملعقةٍ كبيرة ليحرّكوا «الهريسة» وهم يتمتمون ما في قلوبهم... هل انتبهتم يومًا أنّ هذا القِدر بركة أمنيات؟

كبُرَ عليّ على هذا المشهد المتكرّر سنويًّا، ولمّا تُوفيتْ جدّته وخَبا سحر الحياة، اجتمعَ النّاس لوادعِها، كان مجلس العزاء يخترقُ روحه؛ حتّى عندما نودّع أحبابَنا نبكي الحسين عليه السلام...

انتظرَ عليّ كثيرًا أن يأتي ذلك اليوم الذي يقفُ فيه مع الواقفين حول قِدر «الهريسة»، يحرّك، ويسكبُ ويوزّع، ويشارك بقراءة الأذكار، وكلّما شارك بذلك أورقَ حُبّ الحسين في قلبه.

عندما الْتحق بالدّورات العسكريّة، لم يعارِضْه أحدٌ من أهله، فهو صبيٌّ مجتهدٌ في مدرسته، مهذّب بين الناس، اختار طريق المقاومة عن وعيٍ وحكمة وحُب، فمَن لا يُحبّ الحسين لا يمكنه أن يسكن المحاور. حبُّ الحسين يعني أن تقف أمامه وهو يأذنُ لكَ بالرّحيل فتبقى، وتسقط عليكَ السهامُ ولا تسقُط، وأن تقاتلَ حتّى تذرفَ دَمَكَ فوق الرّمال.

هذا ما كان يراه عليّ كلّما هلّ هلالُ شهر محرم، موسم الهجرة إلى كربلاء، ولمْ يؤخّره شيءٌ عن الخدمة في الموائد، فقد كان ينظّمُ وقتَه للمساعدة في ذلك، ودائمًا يبحثُ عمّا يمكن أن يقرّبه من الإمام الحسين عليه السلام، غير عابئٍ بما يكون، توزيع طعام، أو ضبّ الكراسي، أو جمع المحارم الورقيّة عن الأرض، أو أيّ شيء، فالخدمة ظاهرها بسيط وباطنها عظيم.

وفي ذات محرم، لم يحضر عليّ المجالس العاشورائيّة، افتقد الرّفاق عليًّا وهم يحرّكون القِدر، أينَ الشابُ فارعُ الطّول، جميلُ الوجه، المبتسمُ العينينِ خلف نظّارتين تضفيان على وجهه ملامحَ الطّفولة؟ كان قد كبُر وأنهى بنجاحٍ سنتَه الأخيرةَ في كلّيّة الهندسة، وبقيَ أن ينتظرَ حفل التّخرّج ليتسلم شهادته، وأيضًا كان قد اتّفق مع والدَيه على تجهيز نفسيهما لخطبة الفتاة الّتي أحبّ الارتباط بها، أمّا راتبه من عمله في شركة أخيه، فأخذه كعادته واجتزأ منه مبلغًا أوصله إلى فتى يتيم كفِلَه منذ سنوات، وكان يدّخر أحيانًا من مصروفِه لأجل ذلك؛ سألوا عنه فلم يجدوه.

كان عليّ في ذلك المحرّم، في باديةٍ بعيدة، تشبه إلى حدّ ما بادية كربلاء... فيها خيامٌ مليئة بالعتاد، وشبابٌ مجاهدون، جمعتهم أيّام محرّم مرابطين في الثغور، الشمس لاهبة، وغبار الرّمال يُعمي العيون، وحلقة من اللّطم تحيي ما في القلب من رميم. قلبُ عليّ عاشق الحسين، كلّما خبط يدَه على صدره شعرَ باسم الحسين ينبض... مرت أيّام، وحان وقت العودة من الجهاد، جلسوا بانتظار الحافلة وهم يلطمون، ابتسم عليّ، فلا شك بأن أمّه الحنون مربكة فيما تحضره له من طعام يحبّه، ولا ريب أن خطيبته بانتظار عودته، ولكنّ صوتَ الرّصاص جعلَه يلتفتُ سريعًا...

يا الله! إنّه اليوم التّاسع من المحرّم، هبّوا يا أنصار أبي عبد الله!

كان الهجومُ من داعش قويًّا ومباغتًا، ولكنّ صلابة المجاهدين جعلتهم ينكفئون إلى الخلف.

هَدَأَ الرّصاصُ وانكشفَ الغُبار... كانَ فوق الرّمال شابٌ فارع الطّول، مبتسم العينين، عشِقَ منذُ صِغَرِهِ الحسين، اسمه: عليّ. ”





قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصة الشهيد المجاهد علي أحمد عنيسي

بقلم: نسرين إدريس قازان

باسم رب الشهداء

أولسنا على حق؟!

مرّت ثلاثةُ أيّام من نشوة النجاح، كانت ابتسامته عريضةً مطمئنّة، وهو يخبر أمّه عن الجامعات التي سيتوجّه إليها في العاصمة بيروت، ليطّلع على الاختصاصات المتوفّرة، على الرّغم من أنّ انتقاءه لهندسة الاتصالات باتَ شبه محسوم، فهذا **«الاختصاص تحتاجه المقاومة»**، هذا ما قاله بالضبط، فقد دأبَ عليٌّ منذ صغره، على ربط خياراتِ حياتِه بالمقاومة، ما يعني أنّ المقاومة هي خياره الوحيد. ربّما يستغرب بعض الناس سبب هذا الانجذاب الساحر إلى الجهاد، وربّما يظنّ بعضٌ آخر أنّه مجرّد حماسة مراهقة، وخصوصًا أنّ حياته مليئة بمباهج الحياة، فأبوه تاجر من أهمّ تجار مدينة صور، ترف الحياة متوفّر له في كثير من التفاصيل، ولكن خياره، كان خيار حياة : **«أن نعيش بعزّة وكرامة»**.

عندما كبر عليّ قليلًا اكتشف أنّ بعض رحلات والده، لم تكن تجاريّة أو زيارة مقامات مقدّسة، حسبما أخبرتهم والدته، بل كانت جهاديّة. بلى لقد التحق والده بالمجاهدين بعد سنّ الخامسة والثلاثين، لم يجد أنّ سنّ الرّجل عقبة أمام ذلك... وأثبت عليّ أيضًا أنّ الشاب قد يحتاج إلى خطوة واحدة ليختصر السنوات إلى الرجولة. فما أن صار في سنّ البلوغ حتّى اعتبر أنّ تكليفه في الحياة تغيّر، فهو الآن مسؤول عن كلّ ما يقوم به، سيحاسب على كلّ شيء، فكان قراره الأوّل ترفيع نفسه من الكشافة إلى التعبئة العامّة. كان همّه أن يخضع لدورات عسكريّة ويطوّر من أدائه الجهاديّ، وذلك في إطار التأهّب الدائم لأيّ معركة مع العدوّ الصهيونيّ.

وقبل أن ينطلق إلى بيروت بقليل، جاء خبر أسر جنديّين إسرائيليّين في عيتا الشعب، أجّلَ «مشواره» قليلاً، وسرعان ما ألغاه بعد أن صار صوت القذائف مسموعًا.

«المقاومة تحتاج إلى مهندسي اتصالات... ولكنها الآن تحتاج إلى الرجال».

ذلك الوجه الفتيّ الجميل المبتسم دائمًا كان يرتسمُ بالطيبة والشجاعة والبأس، هذا ما رأته أمّه عندما وجب عليها ترك المنزل هربًا من التدمير العشوائيّ بعد أيّام من بدء حرب تمّوز. ظنّت أنّه سيأتي معها، ولكنه ارتمى في حضنها ليشمّ رائحة الحياة. وودّعها مصرًّا على البقاء مع والده، فقال لها: **«إمّا أن نعيش بعزّة وكرامة وإمّا أن نموت بعزّة وكرامة!».** كان حاسمًا واثقًا مدركًا لما يقوله. يومها شعرَتْ بأنّ خيمة ليلى أمّ عليّ الأكبر صارت فوق رأسها.

في منطقة الحوش - صور، كثيرًا ما شوهدَ عليّ مع والده كتفًا بكتف، يحملان الصواريخ معًا، يرميانها على المستعمرات الصهيونيّة ويركضان قبل أن تُسقط طائرات الاستطلاع صواريخها عليهما...

لم يكن مسموحًا قتال الأقارب جنبًا إلى جنب، فكيف بالأب وابنه؟ ولكنّ الحاج أحمد رفض الامتثال لهذا القرار، فالحرب تلغي الكثير من قواعد الاشتباك... وفي الحقيقة أن ليست شجاعة عليّ فحسب، ما حدا بأحمد الالتصاق بابنه، بل هي رؤيا رآها قبل أشهر قليلة، وهي أنّ الملاك جبرائيل عليه السلام أخبره أنه سيُستشهد وابنه عليّ...

وما أكثر ما قيل له: «يا أحمد، ابنك لا يزال صغيرًا طريّ العود، ما له وللحرب؟!». فيسترجع أحمد قائلاً: **«إنّا للّه وإنّا إليه راجعون».**

وطمأنه عليّ: **«أولسنا على الحقّ يا أبتِ،** إذًا لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا».

وكثيرًا ما قيل له: «رابط بعيدًا عن الخطر، أنت في مُقتبل العمر أيّها المهندس الصغير»، فلم يرضَ عن الرجولة بديلًا.

في غرفتها البعيدة كانت أمّه تبكي، تدعو الله أن يحفظ عائلتها، وليس كلّ الحفظ حياة، بعضه فوزٌ ونجاة..

ما أجمله يركضُ لاهثًا بين أشجار الليمون في البساتين الّتي طالما لعب فيها طفلاً صغيرًا، ما أصبره عطشانَ في حرّ تمّوز اللّاهب، وكتفه قدِ اسودّ من حمل الصواريخ الثقيلة، فلم يتعب، ولم يهدأ، حتى كانت آخر صلية أطلقها مع والده، واستُشهدا بعدها مباشرة...

أحد عشر يومًا والقمرُ مزروعٌ في تراب البساتين... أحد عشر يومًا كانت جدائل الشمس تغطّيه... ووشاح الليل يؤويه، قبل أن يُحمل جثمانه وجثمان والده ويُدفنان متجاورَيْن.









قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصة الشهيد المجاهد أحمد فارس

بقلم: زينب رضى شاتيلا

باسم رب الشهداء

كتاباتٌ بلا عنوان

قفزَ بقامته الطّويلة فوق راجمة خيبر، رفعَ كتفيهِ العريضتين وفتحَ ذراعيه للهواء، ثمَّ وضع يدهُ اليُمنى على صدره وصدحَ بصوته الجهوريّ قائلًا: «جنوبيٌّ الهوى قلبي وما أحلاهُ أن يغدو هوا قلبي جنوبيّا!».

كما وقفَ الشّاعر عمر الفرّا وراء منبر المسرح في دمشق خلال حرب تموز عام 2006، وقفَ «محمد رضا» على العربة المُتحركة التي تحمل قواعد إطلاق الصواريخ في جنوب لبنان، تلك الشاحنة التي تحمل فوق ظهرها صندوقًا يشبه القفص المفتوح، يتخلَّله صفائح حديديّة مثقوبة من الداخل بدوائر متوازية، يمر عبر سِكَكها صواريخ خيبر. كان قد أخرجها ورفيقَيْه في المجموعة من المرآب المُخَصَّصِ لها لتتموضعَ في مربضها بعدما جاءتهم الأوامر من غرفة العمليات بإطلاق صلية من صواريخ خيبر نحو الكيان المُحتل.

تمدَّدت شفتا محمد رضا الغليظتان ترسُمان ابتسامةً بيضاء ناصعة لم يتخلَّ عنها ابن التاسعة والعشرين ربيعًا حتى في ذروة حالات الحرب الصعبة. ثمَّ نزل عن الراجمة وأكمل إلقاءهُ بنفس أداء الشاعر عمرا الفرا: «هنا حطَّت رحائلُنا تعال اخلع! وقد أرجوك أن تركع!»، ركعَ ليثبِّت أرجل الشاحنة في قلب الأرض بعدما وجَّه رفيقاه مِنصَّة الإطلاق بشكلٍ عامودي وعدَّلوا الإحداثيات، كان الهدف إطلاق صِلية من صواريخ خيبر من موقعهم في دير الزهراني شمال نهر الليطاني نحو منطقة العفولة الواقعة ما بعد حيفا في العمق الفلسطيني المُحتلّ.

أنهى محمد رضا غرزَ الأرجل في الأرض ثم مشى بين طرفَي الشاحنة وهو ينظرُ إلى السماء المشتركة بين لبنان وفلسطين وعيناه شبه مغمضتين بفعلِ أشعة الشمس الحارقة يوم الأحد من شهر آب، الثالث عشر منه عام 2006. سالت قطرات العرق من جبينه الأسمر العريض لتمرَّ قربَ عينيه الخضراوين اللتين كان يتباهى بهما أمام أصدقائه بعدما كانوا يمازحونه ببعضِ الألقاب

الخاصة بينهم. مشى وهو يضربُ قدميه بالأرضِ، ينظرُ إلى التراب تارة، وإلى وجه رفيقَيه المُنهمِكين بالعمل طورًا، ثمَّ حرَّك يديه كمايسترو فرقةٍ موسيقية وهو يواصلُ إنشاد القصيدة قائلًا: «إنَّنا...» ثمَّ أطرقَ قليلًا كما يطرقُ الفرا ثم أكمل: «نمشي... على أرضٍ... مُقدّسةٍ... فلو أسْطيع أعبرها على رمشي...».

لم يتمالك رفيقا الحربِ نفسَيهما وراحا يضحكان لما يقوم بهِ من أداءٍ مسرحي، «مجنون هيدا!!»، قال أحدهما وهو يميل برأسِه مُستغربًا برودة أعصابه ومرَحه في لحظات الحرب المُشتعلة، لحظاتِ الخوف بعدَ أيامٍ كثيرة من الجوع والعطش وفُقدان المأوى وافتراشِ الأتربة والصُّخور. لمَ لا وهما لا يعرفان «أحمد فارس» وطبعَه المرح وحِسّه الفكاهيّ ومزاحَه المتواصل الذي لا حدود له؟ هما لا يعرفان خيزرانة المكتب التي يستقبل بها زواره بترحاب يليقُ بمقامهم. هما لم يختبرا ذكاء هذا الرجل وإبداعه وذهنهُ الوقّاد في ميدان عمله الأصلي في صفوف المقاومة. هما لم يطَّلِعا على ذاكرة الرجُلِ التي تحوي أرشيفَ عمليات المقاومة التي قامت بها قبل التحرير، مع أسماءِ العملاء والأسرى والتواريخ... حتما سيستغربُ هذان الرّفيقان الفكاهة في سلوك محمد رضا في ذلك اليوم المُدّوي حيث تواصل فيه القصف الصهيوني دون توقُّف كما قابلهُ ردُّ المقاومة الكثيف. كانت سماء البلدين يومها تُمطران قصفًا صاروخيًّا لم يهدأ.

أنهى الثلاثة تجهيز الراجمة وحان وقت إطلاق صلية صواريخ خيبر، والّتي كانت الصّلية الأخيرة، في تلك الحرب. الصِّلية ذات المدى الذي فاجأ العدو حيثُ ظنَّ أنه قضى على الترسانة الصاروخية لحزب الله خلال الثلاثة والثلاثين يومًا المُنصرمة. فما كان من محمد رضا ورفيقيه إلّا أن أرسلا تلك الصلية كتوقيع نهائيّ. وقف حينها محمد رضا يكمل القصيدة قائلًا: «هنا وقفوا!...» ثم أعادها مرةً أخرى وهم يطلقون بنداء يا حسين! ثمَّ ردَّدَ قائلًا: «هنا قَصَفوا...» فانطلقت صلية من ثلاثة صواريخ رسمت خطوطًا من نار اخترقت حدود الجنوب لتضرب هدفها في العفّولة التي تبعد أكثر من 50 كلم عن الحدود بين البلدين.

رصدَت حينها طائرة الإستطلاعِ مكان الإطلاق. توجَّهت نحو مربض الراجمة، وصورت استعراضَ مُقاتلٍ وراء راجمة. لم تتمكن جراءَ طنينها المُزعج من سماعِ صوته وهو يقول: «لهم في الموت فلسفةٌ، فلا يخشونه أبدًا». لكنها استمرَّت في التقاطِ صوره وهو يركعُ ليزيلَ أرجل الشاحنة من قلب الأرض، لا يأبه لطيرانها فوقه ولا لصوتها ولا لتصويرها. صوَّبت نحوه نيرانها، أطلقت عليه قبل أن يُنهي القصيدة قائلًا: «هنا ركبوا براق الله، وانسكبوا بشلّالٍ من الشُّهداء...». ”





قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصة الشهيد المجاهد حسين رومل شري

بقلم: نسرين إدريس قازان

باسم رب الشهداء

والصّبح إذا تنفّس...

يقول الله تعالى في سورة التّكوير الآية الثامنة عشرة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم **«والصّبح إذا تنفّس»** صدق الله العليّ العظيم

وضّبَ حقيبتَه، وأفكاره كالعصافير تطيرُ من غصن إلى غصن، تارةً تحطُّ على تخيّلات الجامعة، وما إذا كان سيوفّق باختصاص يحبّه، ويتساءَل إن كانت الجامعة ستشبه في الحقيقة الصورة المطبوعة في أذهان أغلب الطلّاب؟ ثم تطلُّ قاعة الامتحانات الرّسمية من كوّة صغيرة، فيشعر بضيق ضغط الدّروس والتحضيرات، أوَليسَ مَن طلبَ العُلا سهر اللّيالي؟ ولكنّه يتنفّسُ الصّعداء شاكرًا الله تعالى على أنّه نجح في اختبار الثانوية، وما هذه الزّيارة القصيرة إلى قرية صديقه «العديسة»، إلاّ فرصة استجمام وراحة، قبلَ العودة إلى معتركِ الحياة من جديد.

كان سلامُه على أصدقائه في الحيّ سريعاً، وكذا الأمر معَ أخوته الّذين حرص على إعادة وصاياه اليوميّة لهم، بدءًا من الاستيقاظ لصلاة الصّبح، ثم مساعدة والدَيهم، والانتباه إلى بعضهم، والقيام بواجباتهم...

إنّها المرّة الأولى التي يزور فيها قرية «العديسة» المتاخمة لفلسطين المحتلّة، ليس هناك أجملَ مِن أن يقفَ قربَ الحدود مع فلسطين، يراقبُ أشجار الزّيتون، يشمُّ الهواء المفعمَ برائحة دماء شهداءٍ قدّموا ربيعَ العمر من أجل أن تقف الأجيال هنا. فيلامس بصرها فلسطين.

كان حسين يقول في نفسه: علينا أن لا ننسى أن هذه الأرض كانت محتلة. وأن الشّباب، فتية وفتيات، كانوا يُساقون إلى المعتقل، وأنّ الخدمة العسكرية في ميليشا لحد كانت إلزاميّة، وأنّ خيرات الأرض، وحياة وأموال الناس، والبيوت، كلّها كانت تحت رحمة العدو وعملائه. إلى أن انتصرتِ المقاومة في أيار من العام 2000، وتحرّر الوطن.

ثم يفكّر بأولئك الشاب الذين ينظرون إلينا من عليائهم. كثيرًا ما قرأ قصص الشهداء، ليس للاستئناس بقصصهم فحسب، بل للبحث في تفاصيلها عمّا يساعده في سلوك طريقه. بلى ، لم يكن حسين غافلاً عن أن طريقه يجب أن توصله إلى الله. أوَليس كلّ عاشق يسعى إلى حبيبه؟ لذا وضع مذ كان فتيًّا برنامجًا عباديًّا خاصًّا به، لم يقصّر فيه أبدًا، وكان هذا الالتزام بوابة كلّ خير له، فقد تجلّت في قلبه خفقات الحبّ الخالص للّه، ولم يعُد يعنيه في هذه الدّنيا إلاّ أن يكون جنديًّا مخلصًا في جيش صاحب الزّمان.

عندما تقرأ دعاء العهد كلّ صباح... فإنّك تسلّم قلبك لمن لن ينساك. تضع روحك أمام عينيه، فإن نادى ذات يوم: **«ألا من ناصر ينصرني»**، صرختَ ملبّيًا: **«لبيّك لبيّك...»**.

تلك الدّموع الّتي حرقت وجنتيه في مجالس العزاء وهو يتخيّلُ كيفَ وقف الإمام الحسين عليه السلام وحيدًا في ساحة المعركة، بعد أن استشهد كلّ أخوته وأبناؤه وأصحابه، ونادى: **«ألا من ناصر ينصرني؟»**، هي التي دفعته للتفكّر يوميًّا بتلك اللّحظة التي سيلبّي فيها النّداء، لم يكن يعلم أنّ ذلك اليوم قاب قوسين أو أدنى.

لم يكَد حسين يستقر ليومين، حتّى نشبت حرب تموز في العام 2006، فكان قرارُ عودته مباشرة إلى أهله، وعدم البقاء في منطقة لا يعرفها، ولكن حسين أبى أن يتزحزح من مكانه، فقد رفض الرجوع إلى بيروت لملاقاة أهله، فحاولوا معه الترهيبَ بأنه غريب عن القرية ولا يعرف طرقاتها وهذه مشكلة أساسيّة، وأنّ الحرب هنا ستكون مباشرة مع جنود النّخبة، وأنّ الموت حاضر مع كلّ نفس، ثم انتقلوا إلى الترغيب، أنت في ربيع العمر، الجامعة بانتظارك، أمّك وأبوك وأخوتك، أشياؤك، أحلامك... ولكنّه أصرّ على البقاء: **«أوَليست كلّ أرض كربلاء؟! هُنا كربلائي»**، فكتبَ وصيّته، وفيها الأيّام المتبقّية من صيام شهرين متتالين كفارة إفطار عمد، لم يرضَ دفعَ كفارته، بل أصرّ على صيامهما في أيّام الصّيف اللّاهبة...

بقيَ حسين مرابطًا في «العديسة» في ظروف قاسية، انقطعَ فيها الجميعُ مِن الماء والطعام إلاّ الفتات، إلى أن تنفّس صبح ذلك النهار... فكان صوت عهده الصباحيّ يتردّد صدًى: **«اللّهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمستشهدين بين يديه»**.

كان عليه موافاة المجاهدين في الجانب الآخر من القرية، ولكنّ مساعدته لجريح أخّرته عنهم، والخيرُ كان فيما وقع، إذ اكتشف أنّ مجموعةً كبيرةً من الجنود الصهاينة تقترب من الساحة. فطلب إلى الجريح إكمال الطريق، وبقيَ وحدَه متربصًا بالعدو.

الآن عليه أن يبرزَ والقتال وحدَه. خفقَ قلبه بشدّة، ليس خوفًا. لا.. بل شوقًا. لمعتْ عيناه كعيني صقر وهو يعدّ الجنود... واحد، اثنان، ثلاثة... توقف عن العدّ، كانوا أكثر مما توقع...

الساحةُ خاليةٌ إلّا من أصوات أقدام تقترب... إصبعُ حسين على الزناد... وعينه على المنظار... وحانت اللّحظة... كان يقفز بخفّة من مكان إلى آخر، وصوت الرّصاص يضجّ في الأرجاء.. اتّكأ الجريح على جدار منزل، وشدّ قبضته وأغمض عينيه ليدعو له...

خرج المجاهدون بسرعة من سواترهم ليعرفوا مصدر صوت مواجهة ملحمية.. صرخ أحدهم: «هناك معركة في الساحة...». احتدمت المعركة بين شاب ومجموعة من الجنود... لم تسقطه رصاصاتهم، فروح المرء تسكن بيت النار عندما يتمزّق جسدُ صاحبها... وكلّما نزفَ دمه أكثر، ازداد إصراره وعزيمته أكثر... حتّى كانت آخر رصاصة، وآخر الأنفاس...

“ والصّبح إذا تنفّس...









قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصّة الاستشهاديّ أسعد برّو

بقلم: نسرين إدريس قازان

باسم رب الشهداء

كُنّا مَعَكُم...

دَوّى الرّعد ولَمَعَ البرق... وقفَ لائذًا بحائطٍ يراقبُ المطرَ المنهمرَ بغزارة. كانت أمّه قد طلبَتْ إليه أن لا يخرجَ من المنزل، ولكنّ أسعد أصرَّ على ذلك، فلنْ يؤخّرَه المطرُ عن الحضور في مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

انتظرَ أن يخفَّ المطرُ قليلاً، ولكنّ الرّعدَ والبرقَ زادا من حدّتِه، فما كانَ منه إلاّ أن وضعَ يدَيه فوقَ رأسِه وانطلقَ يعدو في الزّقاق، غيرَ عابئٍ بالبركِ الصّغيرة الّتي غرقَتْ فيها قَدماه، ولا بالبَلَلِ الّذي طالَ كلّ ثيابه، فكلّ همّه أن يصلَ إلى الحسينيّة قبلَ أن يَشرعَ القارئُ بقراءة المجلس.

وصلَ أسعد في الوقت المناسب، ولكنّه بقي في الخارج، فقد تشكّلت تحتَهُ بركة بسبب حبال المياه المنسابة من ثيابه. بحثَ عن زاويةٍ للجلوسِ فيها والاستماع إلى المجلس. كانت أسنانه تصطكّ من البرد، ولمْ يخطرْ في بالِه أبدًا أن يعودَ أدراجَه إلى المنزل، لتحضِنَه أمّه وتدفِّئه، بلْ استمعَ بتمعّنٍ إلى كلّ كلمة قيلَتْ في المجلس، إلى أنْ قال القارئُ: **«يا لَيتنا كُنّا مَعَكُمْ فنفوزَ فوزًا عظيمًا...»**.

وقفَ أسعد وقدْ هزّتْ هذهِ الكلمة وجدانَه، عادَ إلى المنزل كما جاءَ تحتَ المطر، ولكنّه عِوضَ الرّكض، مشى بهدوء وهوَ يفكّرُ بهذه الجملة ومعناها.

صباح اليوم التّالي استيقظ أسعد باكرًا جدًّا ليجلسَ معَ والدِهِ قبلَ توجّهه إلى العمل، فسألَ أباه: «ماذا يعني يا ليتنا كنّا معكم؟». فتحَ والدُه عيناه وهزّ برأسه: «أف! ما هذا السؤال؟! جوابُه سهل، ولكنّ فِعلَه صعبٌ».

استغربَ أسعد، وقد سألَه والدُه: «إذا كنتَ في كربلاء يوم العاشر، مع من كنتَ ستقاتل؟»، تعجّب أسعد: «وهل هذا سؤال يُسأل؟! مع الإمام الحسين بلا شك»...

ردّ أبوه: «هذا الجزء السهل من الجواب، القولُ باللّسان، أتعلم يا ولدي أنّ من بين من قتل الإمام الحسين من كان يصلّي صلاة اللّيل؟».

شهق أسعد: «يصلّي صلاة اللّيل؟! المؤمنون فقط من يصلّون صلاة اللّيل!».

- هذا جوابُ الجزء الصّعب من السؤال، فالوقوف في كربلاء ليس سهلاً ».

خبط قلب أسعد فزعًا.

جلسَ في زاوية يستمعُ للمجلس ويبكي، واحتارَ عقلُه وهو يبحثُ عن طريق للوصولِ إلى كربلاء، هو لا يريدُ أن يكون معهم باللّفظ، بلْ بالفعل.

لمْ ينمْ أسعد ليالٍ عديدة، وبدا الشرودُ واضحًا في عينَيه، إلى أن انتظرَ والدَه ذاتَ ليلة، وكان أبوهُ يعودُ متأخّرًا من عمله، فجلسَ بالقرب منه وقال له : **«أريدُ أنْ أصبحَ فدائيًّا».**

كادَ أبوهُ يغصُّ بلُقمته، ليسَ لأنّه ضدّ العملِ الفدائيّ ـ وهي أولى منظّمات المقاومة ضدّ العدوّ الإسرائيليّ ـ بل لأنّ ابنه لم يتجاوز الثّانية عشرة من عمره.

أخبرَه أنّه لن يُقبَلَ لصِغر سِنّه، وأنّ هناكَ الكثيرَ منَ المخاطرِ المُحْدِقةِ بهذا الخيار، فلينتظرْ ليكبَرَ قليلاً على الأقلّ لِيستطيعَ حَمْلَ البندقيّة.

هل فعلاً سيُؤَخّره العمرُ عن ما يريد؟ وهل أخّر ذلك القاسم عليه السلام؟ هل أخّر عَمْرو بن جنادة الأنصاريّ وغيرهما من شهداء كربلاء؟! لا... لا شيء سيُؤخّره...

في اليوم التالي تقدّم أسعد بطلب الانتساب للعمل الفدائيّ، وبدأَ تدريباته العسكريّة، وأُعجبَ المدرّبون بشجاعتِه وجُرأتِه.

نظرَ أسعد إلى السّماء مبتسِمًا، لا شكّ أنّ بينهما موعدًا ذات يوم، فقد وضعَ قدَمه في أوّلِ طريق كربلاء، وما عليه سوى المضيّ قُدُمًا ليصلَ إلى الإمام الحسين عليه السلام.

بعدَ سنوات، تنفّس أسعد الصّعداء وهو ينظرُ إلى السّماء، فقد رفعَ قدَمَه عن مكابِحِ سيّارته، وضغطَ على الوقودِ لِتنطلقَ سيارتُه في طريق مرجعيون ـ القليعة، وكان ذلك في السابع من شهر محرّم، عندما تقاطعَتْ سيّارتُه معَ قافلةٍ للعدوّ الصّهيونيّ، فصرخ قائلاً: **«فنفوزَ فوزًا عظيمًا»**، وانفجرتْ سيّارتُه بالقافلة.

تناثرت أشلاؤه قرب النّار... كلّما قُلنا يا لَيتنا... علينا أنْ نسألَ أنفسَنا: **«إذا كُنّا في العاشر من محرّم في كربلاء، هل حقًّا سنكونُ من أصحابِ الإمام الحسين عليه السلام؟**





قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصة الشهيد المجاهد بلال حاطوم

بقلم: نسرين إدريس قازان

باسم رب الشهداء

خير الأصحاب...

«قلْ لي من تُرافق، أقلْ لكَ مَن أنت»، هذا ليس مثلاً يُضرب، هذه حقيقة يلمسها الإنسان في المواقف الصّعبة في حياته. الأصدقاء هم الناس الثابتون في قلوبنا، لا تغيّرهم الأيّام، ولا تبدّلهم المواقف. في ليلة عاشوراء، وقف الإمام الحسين عليه السلام بين أصحابه، وقال لهم : «هذا اللّيل قد غَشِيَكم فاتّخذوه جَملاً». كان باستطاعتهم الرّحيل، أوَليس الإمام قد طلب منهم ذلك؟! لن يلومَهم أحد، حتّى هم إذا داهمهم النّدم ذكّروا أنفسَهم بأنّ الإمام هو مَن طلب ذلك... ولكن ماذا فعلوا، أجمعوا على قول: «لنبقى بعدك؟!، ماذا تعني الحياة إن لم ننعّم فيها مع من نُحب، لنبقى بعدكَ يا حسين؟! لا طيّب الحياة بعدك...».

كان هذا الموقف على مرّ السنين عِبرة للوفاء الخالص من الأصدقاء. ولهذا كان انتقاء الأصدقاء مهمًّا جدًّا. عندما التحقَ بلال بالمقاومة الإسلاميّة، كان صغيرَ السنّ، وفي الوقت الذي كان رفاقه في الحيّ يلعبون ويتسابقون، كان يحضّر حقيبته للالتحاق بدورات عسكريّة. ربّما يستغرب البعض كيف لهذا الفتى الضّعيف البُنية أن يتحمّل التّدريبات القاسية؟ لماذا تركَ كلّ شيء وقرّر الالتحاقَ بالمقاومة؟

وكثيراً ما سألَ عليّ نفسَه عن ذلك وهو يتحدّث مع بلال الذي انتقاه صديقًا، فصار يقضي معظم أوقات فراغه معه، ولم يعرف أحدٌ سرّ هذه العلاقة الوطيدة التي جمعتهما، وحده بلال كان يعرف أنّ هذه الصّداقة ستنقذُ عليًّا من دوّامة البحثِ عن الهدف من الحياة.

لم يعُد عليّ يتأخّر عن أداء الصّلاة، فبلال صار يناديه قبل الأذان بقليل ليذهبا معًا إلى المسجد... ولم يعد يسهر مع رفاقه للّهو واللّعب، بل يقضي الوقتَ مع بلال يتحادثان في شؤون الحياة والجهاد.

ذاتَ يوم، سأله عليّ: «لماذا تركتَ المدرسةَ يا بلال؟»، ابتسم له قائلاً: «اسمعني جيّدًا يا صديقي، عليكَ أن تدرس جيّدًا وتنجح، لا تتوقّف عن متابعة دراستك، ولكن لا تنسَ أنّ هناك واجبًا عليكَ القيامُ به تجاه دينك، واجبًا تمهّد فيه لظهور صاحب الزمان، أمّا عنّي فأنا لا أريد أن أتأخّر في هذه الدّنيا».

أمسك عليّ بيد رفيقه قائلاً: «ألا تخاف؟ يقولون إنّ الحربَ مع التكفيريّين صعبة جدًّا؟ ألا تخاف؟»

لمْ يُجبهُ بلال. ولكنّ الإجابة عرفها عليّ ذات محرّم، فعندما كان يسمع في المجالس الحسينيّة **«يا ليتنا كنا معكم»**، سمع أيضًا أنّ مجموعة من المجاهدين قد حوصرَتْ في منطقة الغوطة الشرقيّة في سوريا.

هناك كان بلال مع رفاقه المجاهدين. صمَدوا في بيتٍ محاصرٍ من جميع الجهات. الرّصاص والقذائف قطعت كلّ المنافذ. فوقفوا معًا واتّفقوا على القتال حتّى آخر طلقة رصاص.

أطلقَ التّكفيريّون على ذلك البيت لقبَ «المستعصي» لأنّه استعصى عليهم الاقتراب منه. فالقتالُ كان شرسًا، لم يترك أيّ مجاهدٍ سلاحَه إلاّ بعد استشهاده. وواحدًا تلو الآخر استشهدوا...

بقي بلال وحيدًا... الدبّابة تقتربُ منه... وصوتُ المذياع عَلا مجدّدًا يطلب منه الاستسلامَ وتسليم نفسه. نظرَ بلال إلى رفاقه... ما أجملَهم! ما أوفاهم! لقد صمدوا معًا، وكلّ واحد أخذ بيد رفيقه إلى الجنّة. لقّم سلاحه، وبنداء «يا زهراء» أطلقَ بلال آخر ما بقيَ معه من رصاص قبل أن يستشهد...

كان بلال قبل أن يذهبَ إلى الغوطة، قد كتبَ رسالة قصيرة لصديقه عليّ: «خيّي علي الواحد أد ما عاش بالنهاية بدو يموت لو كان نايم بالفرشة أو بالشهادة، كرمال هيك يا علي أنا ما بحب موت عالفرشة، لهيك اخترت الموت بالشهادة، ووصيتي إلك إنو تفوت بهيدا الخطّ الحسينيّ».

ظلّ بلال شهيدًا مفقودَ الأثر سبع سنوات، وعندما وُجِد جثمانه وجيءَ به ليُدفن في قريته، ضمّه عليّ طويلاً، أخبره أنه خلال السّنوات السّبع أنهى دراسته، والتحق بصفوف المجاهدين، وشارك في العديد من المعارك ضد التكفيريين... وشكر صديقه كثيرًا على كلّ الأشياء الجميلة التي فعلاها معًا، والأشياء الّتي تعاهدا عليها معًا...

خيرُ الأصحاب هم الشّهداء... انتقوا الأصدقاء الّذين يأخذون بأيديكم إلى الجنّة.





